قصّة النبي أشعيا عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الكلمة © 2020

www.alanbiya.org

مدخل إلى قصة النّبي أشعيا (عليه السلام)

عاش النّبي أشعيا (عليه السلام) في القرن الثّامن قبل الميلاد، وأوحى الله إليه خلال حكم أربعة ملوك من مملكة يهوذا الجنوبية. وتوجد في كتاب النّبي أشعيا إشارة إلى زوجته، وربّما حظيت بكرامة النبوءة مثله. وأوكل الله إلى النبي أشعيا أن ينذر بني يعقوب - الذين يعيشون في مملكة السّامرة الشمالية ومملكة يهوذا الجنوبية - ويعلن لهم أنّ آثامهم وعصيانهم سيؤديان بهم إلى العقاب. وكان بنو يعقوب يحرصون على العبادات والتقاليد الدينية، إلاّ أنّهم منافقون، ممّا يلغي عن صلواتهم وقرابينهم كلّ قيمة أمام الله.

ولم يتب بنو يعقوب عن آثامهم رغم تحذير النبي أشعيا الشديد لهم. وقد حثّ النبيّ أشعيا الملك آحاز الذي كان حاكما على مملكة يهوذا، أن يثق بوعد الله، لأنّ الله تعالى سيحمي مملكته، ولكن الملك آحاز لم يستجب لهذا الطلب.

وحثّ النّبي أشعيا أيضا الملك حزقيّا بن آحاز أن يتّكل على الله وألاّ يدخل في حلف مع مصر أو يخضع للجيوش الأشورية. وكان الملك حزقيّا مخلصا لله على غير مثال أبيه الملك آحاز، فاتّبع وصايا شريعة النبي موسى. ولكن خلال فترة حكم حزقيا تصاعدت سطوة مملكة أشور وقهرت مملكة السّامرة التي كانت مملكة لبني يعقوب سنة 722 ق. م. ولم تنجح الإصلاحات الدينيّة التي قام بها الملك حزقيّا في وقف انحدار إيمان شعبه في مملكة يهوذا، رغم تدميره للمعابد الوثنية.

وخلال حكم الملك حزقيّا أنقذ الله أهل القدس بمعجزة من الجيش الأشوري. ويُخبر الطّبري في تاريخه: "وقال بعضهم: بل الذي غزا حزقيا صاحب شيعا [أي أشعيا] سِنْحريبُ ملك الموصل، وزعم أنّه لمّا أحاط ببيت المقدس وبجنوده بعث الله ملاكا فقتل من أصحابه في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل".[٨] ووردت هذه القصة بالتفصيل في الكتاب المقدّس، كتاب النبي أشعيا الفصلين 36 و37، وفي سفر الملوك الثّاني الفصل 19.

---

[٨] **الطبري**، *تاريخ الرسل والملوك*، ط 2، (بيروت، دار التراث، 1387هـ) ج 1، ص 535.

وإضافة إلى التحضيرات التي نقلها النّبي أشعيا، أوحى الله إليه بأنّه تعالى سيعيد شأن قوم ميثاقه، وسيرسل عبدا مختارا مرتضى يقاسي الآلام من أجلهم فداء للمذنبين (انظر كتاب النّبي أشعيا، الفصول 42، 49، 50، 52 و53)، ويؤكد الإنجيل الشريف أنّ هذا العبد المرتضى هو السيد المسيح. وجاء الوحي على لسان النبي أشعيا بخصوص الخلق الجديد الموعود به، حيث يشترك النّاجون بوليمة عظيمة متّكئين على أرائك، وحينها يزيل الله ظلال الموت التي تخيّم على كلّ البشر (انظر كتاب النّبي أشعيا، الفصلين 25 و65).

ولا نجد خبرا في الكتاب المقدّس عن موت النبي أشعيا ولكن التلمود يخبرنا باستشهاده حين نشروه إلى قسمين. ويؤكّد ابن كثير هذا الخبر في قصصه للأنبياء قائلا: "قال ابن اسحاق: ثمّ لمّا مات حزقيا ملك بني إسرائيل مرج أمرهم، واختلطت أحداثهم وكثر شرّهم فأوحى الله تعالى إلى شعيا [أشعيا]، فقام فيهم، فوعظهم وذكّرهم، وأخبرهم عن الله بما هو أهله، وأنذرهم ببأسه وعقابه إن خالفوه وكذّبوه. فلمّا فرغ من مقالته عدوا عليه، وطلبوه ليقتلوه. فهرب منهم فمرّ بشجرة فانفلقت له، فدخل فيها وأدركه الشّيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلمّا رأوا ذلك جاؤوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها فإنّا لله وإنّا إليه راجعون".[٩]

---

[٩] **ابن كثير**، *قصص الأنبياء*، ط 1، (القاهرة، مطبعة دار التأليف، 1388هـ/1968م)، ج 2، ص 317.

بسم الله تبارك وتعالى
قصّة النّبي أشعيا (عليه السّلام)

مقدّمة[١]

هذه رؤيا أشْعَيا بن آموص، وكان أشعيا نبيّا، زمن الملوك عُزِّيّا ويوتام وآحاز وحِزقيّا، الّذين حكموا مملكة يَهوذا، وقد رأى أشعيا رؤى تتعلّق ببلدهم المنيف وعاصمته القدس الشريف.

عتاب الله لبني يعقوب[٢]

يقول النبي أشعيا:

اِسمعي أيّتها السّماوات واصغي أيّتها الأرضون، لقد قال الله تعالى: "إنّا فضّلنا بني يعقوب عيالنا المقرّبين، وجعلناهم تحت رعايتنا آمنين، ولكنّهم تمرّدوا علينا عاصين! إنّهم في هذا أدنى من الثيران والحمير، فهي تعترف براعيها ولا تقابله بالنّكير، أمّا عبادي بنو يعقوب فما هم بفاهمين. وبفضلنا عليهم لا يعترفون".

ويضيف النبي أشعيا: واحسرتاه، يا لضلال هذا الشعب المبين، شعب مُثقَل بأوزاره، قوم من الأشرار والمفسدين! تركوا ربّهم وجحدوه، واستهانوا بالقدّوس وأنكروه، وانقلبوا على أعقابهم كافرين!

لماذا تصرّون على عصيان أمر الله؟ لماذا تتمسّكون بالعصيان، كأنّكم بعقابه راضون؟ أنتم مثل المصاب الكليم: رأسه جريح وقلبه سقيمٌ. لا عضو فيه سليم، من أعلى الرأس إلى أسفل القدم، تغطيه جروحٌ ورضوضٌ والتهابات لا تُضمَّد ولا تُعالج بالمرهم. فبلادُكم أصبحت خرابًا وخلاء،

---

[١] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 1:1.

[٢] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 1: 2-7.

ومدنكم أحرقت وحقولكم ينهبها الغرباء، ويخرّب كلّ محتوياتها أمام أنظاركم الدّخلاء.

الله يتوعّد الظالمين[٣]

ويلٌ لكم أيّها الحكّام الظالمون، وأنتم يا من بقوانين الجور والقهر تحكمون! إنّكم تمنعون حقوق الفقراء وتردّون العدل عن الضعفاء، وتنهبون الأرامل وتستغلّون اليتامى البؤساء. فكيف تعملون، إذا أنزلت عليكم عقابي، وأرسلت عليكم من الأقاصي البلاء؟ من ذا يجيركم وبه تستغيثون؟ وأين ستودعون ما به أنتم أثرياء؟ فلا مفرّ لكم إلاّ البقاء مع الأسرى، أو المكوث مع الموتى! ورغم هذا فلن يرتدّ عنكم غضب الله، ويحلّ عليكم جزاء من القويّ المتين!

قلة هم العائدون[٤]

وإثر نزول عقاب الله على الشّماليّين، لن يبقى منهم إلا النزر القليل، هؤلاء القوم النّاجون، سيجدون في ربّهم القدّوس خير حليف ولن يكونوا على غيره متّكلين، كملك أشور الّذي صرّف في القضاء عليهم كلّ تصريف. أجل، سترجع البقيّة الباقية منهم إلى الله الجبّار بعد أن تتوب توبة الأخيار.

حتّى وإن كان عدد بني يعقوب كَرمل البحر كثيرين، فلن ينضمّ إلاّ قليلٌ منهم إلى النّاجين، لأنّ الله حكم عليهم بالهلاك المحتوم، وهو أعدل الحاكمين. إنّ الله العزيز القدير سيُنزِل عليهم في أرجاء الأرض حُكمًا سريعًا حاسمًا وفق قضائه اليقين.

يقول الله العزيز القدير: "يا عبادي في جبل الله المقدّس في القدس، لا تخشوا الأَشوريّين، رغم أنّهم سيرفعون عليكم عصيهم وبها يضربون، كما فعل بكم قديمًا المصريّون، فإنّه قريبًا سينتهي زمن غضبي عليكم، أمّا هم فجزاءهم من غضبي عاجلاً سينالون".

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 10: 1-4.

[٤] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 10: 20-25.

رفض الله لنفاقهم[٥]

هُجرت القدس الحبيبة وها هي خراب وقفار، كمدينة تحت الحصار، أو خيمة حارس منعزلة وسط الكروم والأشجار، أو كوخ بُني في حقل للقَثاء بعد أن انتهى عمل الحصّادين. لو لم يكتب العزيز القدير أن يكون بقية باقية من شعبنا من الناجين، لهلكنا الهلاك العظيم، كما هلك قوم لوط في مدينتَيْ عَمورة وسَدوم![٦] أمّا الآن يا حكّام القدس ويا من فيها تقيمون، ها أنتم كقوم لوط الآثمين! فاصغوا لما أمركم به ربّ العالمين! يقول الله تعالى: "ما لي وكل هذه الأضاحي والقرابين؟ كفّوا عن تقديم هذه العجول والخرفان والتيوس، لا تسحبوها إليّ مطلقا ولا تحرقوها، فهي لا ترضيني.[٧] ومَن أوهمكم أنّكم إذا قمتم بتلك الشعائر عبدتموني؟ فلا تدوسوا حرمي المقدّس ولا تقربوني! كفّوا عن تقديم باطل القرابين، والبخور الّذي تحرقونه أثناء صلواتكم فبتقديمه تبغضونني! وحتّى شعائر احتفالات بزوغ الأهلّة ويوم السبت وصيام النوافل، كلّها زيف وكذب مهين! إنّكم ترتكبون الآثام، ثمّ تحتفلون بالمواسم والأعياد، وأنا لا أُطيق نفاق العباد![٨] نعم، كرهتُ فواتح شهوركم وأعيادكم، إنّها بغيضة إليّ كريهة، لا أنظر إليها ولا إلى من بها يحتفلون! وعندما ترفعون أيديكم بالدّعاء أتوارى خلف حجاب، ومهما أكثرتم مِن النّداء فلن يأتِكم مني جواب، لأنّ أيديكم ملطخة بدماء الأبرياء. فاغتسلوا وتطهَّروا من الفساد! لا أريد أن أرى أعمالكم الشريرة، وكُفّوا عن اقتراف الآثام! وتعلَّموا القسط والإحسان، وساعدوا المظلوم ودافعوا عن الأرامل وأنصفوا الأيتام". ويقول الله أيضًا: "هذا هو القول الفصل: إن كانت خطاياكم

---

[٥] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 1: 8-20.

[٦] هاتان المدينتان معروفتان أيضا باسم "المؤتفكات" (انظر سورة التوبة: 70).

[٧] قارن سورة الحجّ: 37.

[٨] يريد الله من عباده الإخلاص والطاعة لأن ممارسة شكليات العبادات بما في ذلك الأضاحي هي نفاق ولا قيمة لها أمام الله. لقد راعى الله محدودية إدراك بني إسرائيل للروحانيات في زمن النبي موسى وغيره من الأنبياء اللاحقين إذ أذن للمؤمنين بممارسة تقديم الاضاحي السائدة آنذاك بين الوثنيين لكي يتقربوا إليه في عباداتهم. لكن مقصد الله تعالى لهم كان أن يجتازوا هذه الظواهر وأن يسموا في عبادتهم ويتجاوزوا تقديم الذبائح وغيرها من القرابين فيسموا في النهاية الى تقديم أنفسهم كليا لله.

كالقرمز حمراء، فإنّي أجعلها كالثلج بيضاء! وإن كانت داكنة حمراء، فإنّي أحوّلها كبياض الصوف في صفاء! فإن أطعتموني، خير الأرض تأكلون. وإن أبيتم وتمرَّدتم عليّ فبالسيف تُهلَكون. هذا أمر الله ربّكم العظيم".

اختيار أشعيا نبيّا[٩]

يقول النبي أشْعَيا: "في السنة الّتي توفّي فيها ملك يهوذا عُزّيّا، رأيتُ من الله رؤيا فيها جلال مولاي لي يتجلّى، وأراه على عرشه المتعالي الرفيع قد استوى، وبحُلّة المجد الّذي أنار بيته المقدّس برمّته قد تحلّى. كانت تحوم حوله ملائكة تشتعل نارًا، ولكُلِّ ملاك منهم ستّة أجنحة، يستر وجهه باثنين، ويستر رجليه باثنين، ويطيرُ باثنين.[١] وكلّ واحد منها يُنادي الآخر ويردّد:

"قُدّوسٌ قُدّوسٌ قُدّوسٌ! اللهُ العزيز القدير!
هيبته تملأ الأرضين!"[٢]

وكان لأصواتهم وقع شديد، اهتزّت له أركان الحرم المجيد، وامتلأ بيت الله دخانًا. فقلتُ: "يا لخيبتي! يا ويلتي، إنّي لا ريب هالك فكلّ قولي آثام، كذلك شأن من حولي من الأنام. ولكنّي رأيتُ تجلّيات مولاي العزيز القدير!" فطار إليّ أحد الملائكة المشتعلين، وبيده جمرة التقطها مِن مَحرقة القرابين. ومسح بها على فمي وقال: "لقد مَسَّت هذه الجمرة شفتيك، وبها أزال الله إثمك وكفّر عن ذنبك". وجاءني الوحي الإلهي قائلاً: "مَن نصطفيه للنّاس رسولاً؟" فأجبتُ في الحين: "لبّيك يا ربّ! اجعلني للنّاس رسولا!" فأوحى إليّ مرّة أخرى: "اِذهب إلى هؤلاء القوم وأخبرهم لعلّهم يسمعون:

مهما سمعتم رسالة الله فإنّكم لا تدركون،
ومهما نظرتم فيها فإنّكم لا تُبصرون".[٣]

ثمّ أوحى الله إليّ: "بلّغ رسالتي لهذا الشّعب الأثيم، ورغم كلّ جهودك ستزداد عقولهم تكلّسا، وآذانهم صمّا، وبصائرهم عمى، فهم لرسالتي غير

---

[٩] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 6: 1-13.

[١] وجاء وصف لهذه الملائكة في الإنجيل، سفر الرؤيا 4: 8. قارن سورة فاطر: 1.

[٢] انظر سورة الزمر: 75.

[٣] انظر سورة فُصّلت: 5.

منصتين، ألا ليتهم يعودون إليّ لأَشفيهم من السقم العظيم".[٤]
فقلتُ: "يا ربّ! حتّى متى أبلّغ الرسالة نفسها لقوم لا يسمعون؟" فقال تعالى: "بلّغ رسالتي حتّى يحلّ الخراب على كل المدن ويهجرنا كل السكّان، وتصبح البيوت خاوية بلا إنسان، ويعمّ البلاد كلّها الخراب والحرمان، فلا تهدأ إلى أن يُبعِد الله عنها كل السكّان، وتصبح مهجورة أمام العيان! وإن بقي فيها عُشر ساكنيها، فإنّ جيوشًا ستجتاحها وتحرقها بمن فيها، وسيصبح هذا الشعب كشجرة البطمة أو البلوطة العظيمة التي يقطع الله جذعها وفي الأرض يلقيها، كذلك يظلّ كلّ المصطفين لله في الوجود، حتّى يعودوا كالجذع الَّذي ينمو من جديد".

نشيد الكروم[٥]

كتب النبي أشعيا (عليه السّلام): للعزيز عن كرومه دعوني أُنشد نشيدًا:
للعزيز كروم على تلّ خصيب.
حرث أرضه وأزال عنها حجارتها بعيدا
وغرس فيها أفضل الكروم.
وبنى وسطها برجًا فيه يقف الحارس الرقيب
وحفر معصرة في الصخر المتين،
وانتظر منها الثمر الرغيب
لكنّها لم تثمر إلاّ حصرمًا.
فقال العزيز تعالى: "يا أهل القدس الشريف،
ويا شعب مملكة يَهوذا العسيف،
تدبّروا في ما جرى بيني وبين كرومي.
هل رأيتم شيئًا تحتاجه كرومي؟
أم تراني قصّرت في العناية بها تقصير المُليم؟
لماذا أثمرت حصرمًا برّيًّا

---

[٤] يؤكّد الإنجيل أنّ هذه النبوءة تحققت عندما رفض كثير من الناس الإيمان بالسيد المسيح (انظر الإنجيل، يوحنّا 12: 37-41).

[٥] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 5: 1-7.

وقد أردت منها عنبًا نديّا؟
فاستمعوا ما أنا فاعل بكرومي:
لأزيحنّ سورها ولأفتحنّ عليها الأبواب،
حتّى تهجم عليها الأغنام والدواب
فتدوس ثمارها وتتلف أشجارها
سأجعل أرضي مقفرة بورا،
فيها يطلع الشوك والحسك دهورا،
وأمسك الغيث من الغيوم
فلا تسقيها الأمطار".

إنّ الكروم هم بنو يعقوب
وإنّ الله العزيز القدير
جعل السامرة ويهوذا مثال المكان الخصيب،
وانتظر منهم تعالى الحقّ فإذا بهم يستهترون في سفكهم للدّماء!
وأراد الصلاح فإذا الظلم والصياح والبكاء![٦]

آحاز يعتلي عرش مملكة يهوذا[٧]

في السنة السابعة عشرة من حُكم الملك فَقْح بن رَمَلْيا، ملك السامرة، اعتلى آحاز بن يوتام عرش مملكة يَهوذا. وكان عمره عشرين سنة عندما أصبح ملكًا، وحكم القدس لمدّة ستّ عشرة سنة. ولكنّه لم يسع إلى مرضاة الله مثل سلفه النبي داود، بل انتهج سبيل الملوك الشماليّين، حتّى أنّه أحرق ابنه قربانا شأن الوثنيين، وكذلك أتى العادات البغيضة نفسها الّتي كانت تأتيها شعوب المشركين، الّذين جعلهم الله من قبل عن عباده مُبعدين. فقدّم الأضاحي وأحرق البخور في المعابد الوثنية، على التلال وفي ظلال الأشجار العتية.

---

[٦] استعمل النبي أشعيا صورة الكروم هنا لكي يحذر بني يعقوب من عصيانهم وكفرهم. واستعمل السيد المسيح الصورة ذاتها عندما حذر اليهود في زمنه من آثامهم فحثهم على التوبة والإيمان به (انظر الانجيل، لوقا 20: 9- 19).

[٧] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 16: 1-4.

النبي أشعيا يرزق بولد[٨]

قال النبي أشعيا: أوحى الله إليّ: "خُذ لوحًا كبيرًا واكتُب عليه بحروف واضحة اسم ابنك: "سلب سريع، ونهب يسير!"" وسأجعل الحبر أوريًّا وزكريًّا بن يبرَخْيا شاهدَينِ على ما تكتب، لأنّهما أمينان. وبعد فترة رُزقت زوجتي بولد، وكانت مثلي تملك كرامة النبوءة. فأوحى الله إليّ: "سمِّه: "سلب سريع، ونهب يسير". واعلم أنّه من قبل أن يتمكّن الولد من نطق: يا أبي ويا أمّي، سيغزو ملك أشور أعداءكم في دمشق والسّامرة ويحمل معه ثروتهما".

قدوم ملك أشور[٩]

ثمّ أوحى الله إليّ مرّة أخرى: "إنّ اعتنائي بشعب مملكة يهوذا يشبه انسياب مياه وادي شيلوه في هُدوء، ولكنّ هذا الشعب يرفض اعتنائي به رفض الجحود، إذ اتّبع الملك رَصين والملك ابنِ رَمَلْيا بسبب خوفه الشديد. لذلك سيرسل المولى على شعب يهوذا ملك أشور، وجيشه الكبير، الذي سيفيض عليه مثل ماء نهر الفُرات الغزير، فيغمُر جميع الجداول ويتعدّى كل الحدود، ويتدفّق على يَهوذا سيلاً عارما حتّى يصل إلى الرقاب، فيبسط الملك جناحيه في أقاصي بلادك مثل نسر أو عُقاب". والله سيكون معنا خير سند!

يا أيُّتها الشّعوب في أقاصي الأرض! تحالفوا من فزعكم الشديد! استعدّوا وتشاوروا! واستنفروا جيوشكم وتأهّبوا، ارسموا خططكم، لكنّكم لن تفلحوا، إنّكم مهزومون، لأنّ الله سيكون معنا، نعم، إنّكم لمنكسرون!

الله ينذر النبي أشعيا[١]

يقول النبي أشعيا (عليه السّلام): إنّ الله لقد أنذرَني ومنعني بأمره الشديد، ألاّ أسير في طريق بني يعقوب، وأوحى إليّ: "حذار! لا تتّبع هذا الشّعب الضّالّ! ولا تعتبر أنّ الخيانة هي كلّ ما اعتبره هذا الشعب خيانة. ولا تخشَ

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 8: 1-4.

[٩] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 8: 5-10.

[١] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 8: 11-22.

ما خافه ولا ترهبْهُ. إنّ الله أحقّ أن تخافه فهو الربّ العزيز القدير، واعلم أنّه الملك القدّوس الكبير. فإن توكّلتَ عليه يكون لك الحصن الحصين، أمّا من في الشمال والجنوب، فقد ارتدّوا عن ربّهم العظيم، فأصبح في أعينهم حجر فيه يعثرون، وصخرةٌ تجعلهم يسقطون، وفَخّ لكل سُكّانِ القدس المرتدّين. فكثيرون منهم يَعثرون ويسقطون ويتحطَّمون ويتكسَّرون ويقعون في الفخّ ويُؤسَرون". أمّا النبيّ أشعيا فقال لأتباعه: "عليكم أن تحفظوا تعاليمي فلا تضيّعوها واجعلوا لها سجلاً رسميًا حتّى تؤدّوها. فقد حجب الله عن آل يَعقوب رضاه، ولكنّي أتوكّل على الله، وأترقّب رضاه.

لقد أصبحتُ ومن معي من العيال الّذين وهبهم لي اللهُ، بيّنات لبني يعقوب من الله العزيز القدير الّذي يتجلّى في بيته في القدس. وسيحثّكم البعض قائلين: "دعونا نسأل العرّافين، الّذين يتعاملون مع الجِنّ وللأموات مستحضرين، لنستشير الّذين يهمِسون سرّا ويُتمْتِمون سحرًا". قل: "يا أهل يهوذا الضالين، أليس أجدر بالنّاس أن يطلبوا الهداية مِن ربّهم العظيم؟ فكيف يطلب الأحياء إرشادًا من الأموات الفانين؟" ألا فانظروا في قول الله وكتابه! أمّا الّذين هم لقوله رافضون، ففي الظّلام يتخبّطون. بل سيتيهون في الأرض جوعًا وشقاء، وسيشتدّ جوعهم فإذا هم غاضبون، فيلعنون مَلِكهم وربّهم الكريم. وإن هم جالوا بنظرهم إلى أعلى أو إلى أسفل فسيجدون أنفسهم في البؤس والظلمات قابعين، وإذا هم في الضّيق البهيم الّذي إليه يُطرَدون.

الملك آحاز لا يؤمن بوعد الله[+]

ولكن الملك آحاز بعث وفدا إلى ملك أشور قائلا: "يا مولاي الملك، أنا عبدك ورهن إشارتك على طول الأيّام، أنقذني مِن حصار ملك السامرة وملك آرام". وجمع آحاز فضّة وذهبا من خزائن قصر الملك ومن بيت المال في الحرم القدسي، وأرسلها إلى ملك أشور لينال رضاه.

[+] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 16: 7-9.

إنذار للملك آحاز[٢]

وفي أيّام حُكم آحاز بن يوثام بنِ عُزيّا ملك يَهوذا في الجنوب، اتّجه رَصينُ ملِك آرام في سوريا صحبة فَقَحُ بن رَمَلْيا ملك السامرة في الشمال،[٣] إلى القدس للهجوم عليها، لكنّهما عجزا عن هزيمتها. وقبل الهجوم عليها، أصاب الملك آحاز وشعبه رعبٌ عظيم، وارتجّ مثلما يرتجّ شجرُ الغابة أثناء العاصفة عندما بلغه خبر تحالف أهل السامرة مع الآراميّين. فأوحى الله إلى النبي أشعيا: "اِمضِ الآن مع ابنك شآرياشوب (ومعناه: عودة القلّة) للقاء الملك آحاز قرب خزانة الماء العُليا للمدينة في طريقِ حقل القَصَّار، وانقل له الأخبار: "اطمئنّ ولا تخف من شدّة غضب ملك آرام وملك السامرة، فما هما إلاّ جمرتان بلا نار. صحيح، أنّهما تآمرا على الملك آحاز قائلين: "هذه بلاد يَهوذا فلنهجم عليها ونبثّ فيها الرعب ونفتحها ونجعل ابن طَبْئيل على عرش المملكة ونسيّره كما نشاء". ولكنّ الله مولاي قال: "لن يحدث هذا الغزو أبدًا، فآرام ليست من عاصمتها دمشق أشدّ وأقوى، وليست دمشق أقوى من ملكها رَصين، ومملكة الشمال ليست أقوى مِن عاصمتها السامرة، وعاصمتها ليست أقوى من ملكها ابنِ رَمَلْيا. أمّا مملكة السامرة، فستتحطَّم وتدمّر برمّتها بعد خمس وستّين سنة. وإن لم يؤمن الملك آحاز وحاشيته بي فلا مفرّ لهم من الهزيمة".

آية عمانوئيل[٤]

وأوحى الله إلى الملك آحاز مرّة أخرى، رسالة على لسان النبي أشعيا: "يا آحاز، اطلب لنفسك برهانًا من ربّك على أنه لقومك خير نصير، اطلب ما تشاء مِن أعلى الدرجات إلى أدنى الدركات". فرفض آحاز مراوغا: "لا أحتاج أن أطلب شيئا، ولا أريد من الله دليلاً!"

فأجابه النبي أشَعيا: "اصغِ يا آحاز إليّ، أنت وكلّ مَن معك في بيت داود

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 7: 1-9.

[٣] بعد زمن النبي سليمان تمرّد عشرة من عشائر بني يعقوب الاثني عشر على حكم رحبعام ابن النبي سليمان، وأقاموا مملكة جديدة في بلاد السامرة، وقد أذن الله بهذا الانقسام بسبب ما ارتكب نبيه سليمان.

[٤] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 7: 10-18.

الملكي! أما كفاكم أنّ صبر الناس عليكم في نفاد؟ فهل تُذهبون أيضا صبر ربّ العباد؟ إنّ ربّي هو من يرسل إليكم هذه الآية: "ستحملُ الفتاة بذكر وتلده ويدعونه عمّانوئيل، ويعني الله معنا.[٥] وقبل أن يأكل هذا الفتى زُبْدًا وعَسَلا، وقبل أن يردّ الشرّ ويختار الصّواب، تصبح بلاد آرام والسامرة في خراب، لأنّ الله سيُرسل عليكم جيوش ملك أشور، وسيجعل أيامًا عويصة تحلّ عليك وعلى آل بيتك وعلى شعبك المغرور، أيامًا لا مثيل لها منذ انفصلت مملكة السامرة عَن مملكة يَهوذا.

الملك حَزَقيّا يعتلي عرش يهوذا[٦]

وفي السنة الثالثة من حُكم هُوشَع بن أيلة ملك السامرة، اعتلى حَزَقيّا بن آحاز عرش مملكة يَهوذا. وعندما كان عمره خمسا وعشرين، حكم المملكة وعاصمتها بيت المقدس العظيم، وحكم تسعًا وعشرين سنة حُكما عادلا سويّا. وتدعى أمّه أَبِيّة بنت زَكريّا. وسعى في مرضاة الله كما سعى سلفه النبي داود سعيا رضيّا. فهدم المعابد الوثنية وحطّم الأصنام وهدم الأعمدة الّتي نصبها الناس لعبادة عشتروت، وكسّر حيّة النحاس الّتي صنعها النبي موسى، لأنّ بني يعقوب اتّخذوها صنما وشرعوا يعبدونه ويحرقون له بخورا نديّا، وأطلقوا عليه اسم نَحُشْتان.[٧] وتوكّل حَزَقيّا بن آحاز على الله ربّ بني يعقوب، فلم يكن له مثيل في كلّ ملوك يَهوذا في من مضى منهم وفي من هو

---

[٥] الآية التي يذكرها النبي أشعيا هنا يأتي ذكرها في الإنجيل لاحقا ليؤكد أن السيد المسيح حققها بمجيئه فهو كلمة الله التي ألقاها إلى السيدة مريم. فالسيد المسيح يعبّر بشكل كامل عن مشيئة الله وحلوله بين عباده (انظر الإنجيل، متّى 1: 22-23).

[٦] استنادا إلى كتاب الملوك الثاني 18: 1-12.

[٧] بعد أن أظهر اليهود تذمّرهم مِن النبي موسى (عليه السّلام) وربّه في صحراء سيناء، أرسل الله عليهم أفاعي سامّةً عقابًا لهم على جحودهم. فذهبوا إلى موسى (عليه السّلام) يطلبون منه التخلّص من الأفاعي، وبعد طلب المغفرة من الله، أوحى الله إليه أن يصنع حيّة من نحاس، ثم يرفعها على خشبة. فيأتي كلُّ مَنْ لدغته أفعًى، فيشخص ببصره إلى حيّة النحاس، فيشفى. ولمّحت هذه المعجزة إلى الشفاء الأعظم الذي أرسله الله إلى الناس من خلال السيد المسيح، الذي أشار إلى نفسه ورسالته بهذه الكلمات: ((فكَما رَفَعَ النّبيُّ موسى الحيّةَ في الصَّحراءِ على خَشَبةٍ، كذلِكَ لا بُدَّ أن يُرفَعَ سَيِّدُ البَشَرِ على خَشَبةٍ، حتّى يَنالَ كُلُّ مَن يؤمِنُ بِهِ نَصيبَهُ في جَنّةِ الخُلدِ)) [الإنجيل، يوحنّا 3: 14-15]. أمّا بنو يعقوب في زمن الملك حزقيّا فلم يدركوا رمزية هذه الحية النحاسية فأخذوا يعبدونها.

آت. وكان معتصمًا بالله في ثبات، عاملاً بالوصايا الّتي أمر الله بها النبي موسى. وكان الله يمدّه بالنصر في كل معركة لأنّه أحلّه محلّ الرضى.
ورفض حَزَقيّا أن يدفع الجزية لملك أشّور وتمرّد عليه وعصى. وهزم الوثنيين في بلاد الساحل واحتلّ مدينة غزّة والأراضي المحيطة بها وعليها حكم واستولى، بما فيها من قلاع ومدن محصّنة.
وفي السنة الرابعة من حُكم الملك حَزَقيّا، الموافقة للسنة السابعة لِإعتلاء هُوشَع عرش السامرة، هجم شَلْمَنْأَسَر ملك أشّور على عاصمة السامرة، وهزمها بعد ثلاث سنوات من المحاصرة. وفي تلك الأثناء أسر ملك أشّور عددا كبيرا من سكّان مملكة السامرة، ونقلهم إلى بلاد أشّور، وأسكنهم في مدينة حَلَح على ضفاف نهر خابور، وفي منطقة جوزان في مدن ماداي، فكانوا هناك في المنفى. فحلّت هذه النكبة عليهم جزاء عصيانهم لله ربّهم ومخالفتهم لميثاقه ولجميع الوصايا التي أمر بها عبده موسى. وأعرضوا عنها غير مبالين.

مرض الملك حَزَقيّا[٨]

وفي تلك الفترة أصيب الملك حَزَقيّا بمرض خطير أوشك خلاله على الموت. فذهب إليه النبيّ أشْعَيا بن آموص (عليه السّلام) ليزوره، وبلغه بوحي الله: "يقول الله تعالى بشأنك: "سجّل وصيّتك لأهل بيتك، فلن تُشفى من مرضك بل ستلقى الموت حتمًا"" وحين سمع حَزَقيّا هذا الخبر، أدار وجهه إلى الحائط، وتضرّع إلى الله قائلاً: " يا ربّ أنت تعلم كيف سلكتُ بأمانة وإخلاص الصّراط المستقيم، وكيف سعيتُ إلى مرضاتك في كلّ حين!" وأخذه البكاء المرير.
فأوحى اللهُ إلى النّبي أشْعَيا وأمره أن يعود إلى الملك حَزَقيّا ببلاغ جديد: يقول الله الّذي آمن به سلفك النبي داود: "إنّي سميعٌ عليمٌ بدعائك ودمعك السخين، فها أنا أُمدّد عمرك خمس عشرة سنة أخرى! وأُنقذك وهذه المدينة مِن ملك أَشّور الطاغية ذي الظّلم الشّديد، وأجعلها تحت حمايتي.[٩] وتصلك

---

[٨] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 38: 1-8.

[٩] ذكر ابن كثير هذا الحدث في قصصه للأنبياء إذ كتب: "وأوحى الله إلى شعيا أن يبشره بأنه قد رحم

إشارة ربّانيّة منّي تؤكد إتمام هذه الوعود، فأجعل ظِلّ الشّمس يعود أدراجه إلى الوراء عشر درجات حسب السّاعة الشّمسيّة الّتي بناها الملك آحاز." فَعاد ظلّ الشّمس كلّ هذه المسافة إلى وراء تطبيقًا لأمر الله تعالى.

أشعيا يتنبأ بالحَكَم العادل المنتظر[١]

ولكنّ زمن هذا الضيق والظلمات يجري إلى انقضاء. وبما أنّ بلاد زَبولون ونَفتالي قد عانت من الذلّ والنكبة فيما مضى، فإنّ تلك البلاد الّتي تقع غرب نهر الأردنّ قُرب بحيرة الجليل، حيث يقطن غيركم من الشعوب، ستحظى في المستقبل بالكرامة والتبجيل.

إنّ الّذين في الظّلمات سالكون
نورا باهرا يبصرون!
أولئك الذين هم على الموت وظلماته يشرفون،
يُشرق عليهم نورٌ عظيم.[٢]
يا ربّ، ستجعل أفراد هذه الأمّة يزدادون،
وسيشعرون بابتهاج عظيم
ويحتفلون أمامك بفرح كفرحهم بموسم الحصادِ
ويهلّلون كالمحاربين الذين هم للغنائم متقاسمون،
لأنّك ستحرّرهم من قيود الظالمين،
ومن سطوة الأسياد
وتكسّر العصي الّتي بها يُضربون
كما فعلتَ يوم هزيمة شعب مِدينَ.[٣]

بكاءه، وقد أخر في أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب."

[١] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 9: 1-7.

[٢] جاء في الإنجيل أنّ السيد المسيح سكن في منطقة الجليل، وشرع في نشر دعوته هناك فكان هذا تحقيقا لنبوءة أشعيا هنا بإشراق النور العظيم على الذين يسلكون في الظلمات (انظر الإنجيل، متّى 4: 14-16).

[٣] هنا إشارة إلى هزيمة قوى مدين على أيدي القائد جدعون، لأنّ أهل مدين كانوا يضطهدون بني يعقوب (انظر سفر القضاة، الفصول 6-8).

وحينها تُحرق نِعالُ جيش العدوّ
مع كلّ الأزياء العسكرية المُلطَّخة بالدّماء،
وتصبح للنار وقودًا وغذاء.
وهذا الفرح العظيم مأتاه أنّ الله سيمنح لنا ولَدًا يرث العرش الكريم.
نعم، سيرسل لَنا وريث المملكة المرتجى
ويحمّله السلطة وحده دون الورى.
وبهذه الألقاب الملكية يُدعى:
مشيرًا عجيبًا،
جبّارًا ربّانيًّا
أبًا أبديًّا، رئيس السّلام.
يمتدّ حُكمه وسلامه بلا نهاية،
ويملأ الأرض قسطًا ويعمّ العدل العالمين
من عرش سلفه النبي داود
إلى أبد الآبدين.[٤]
إنّ هذا ما كتبه الله العزيز القدير!

مملكة السلام الموعودة[٥]

ألا إنّ المولى العزيز القدير يقطع بجبروته شجرة مملكة أشور العظيمة! أجل، سيقطع المتعالين المتكبّرين. سيقطعهم بفأس فيتهاوون كما يتهاوى أضخم شجر لبنان!
وينبت غصن من جذع مملكة النبي داود،
أجل، من أصله يظهر ملك مجيد.
وتحلّ عليه روح الله الحميد،
روحُ الحِكمة والمَشورة والنُّهى
روح القوّة والمعرفة والتّقوى،

---

[٤] يرى عدد من الباحثين أن معاني الجمل هنا تتحقّق بمجيء السيد المسيح، فهو وريث عرش النبي داود.
[٥] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 10: 33-34، 11: 1-10.

ويبتهج بهيبة الله والتقوى.
لا يقضي بين الناس حسب المظهر أو ما يُرى
ولا يتّخذ قرارًا حسب الإشاعات بين الورى،
بل يقضي بين الفقراء بالقسطاس المستقيم
ويُنصف في الأرض المستضعفين.
سيعاقب بكلمته الظالمين.
وبنفخةٍ منه يميتُ الفاسدين.
يتّخذ الإخلاص والأمانة حزامًا
يحيط بهما وسطه دواما.
وعندها، سيسكن الخروف مع الذئاب،
ويرقد الجَدي مع النّمر الوثّاب.
ويكون العجل والخروف في أمان مع الأسود،
ويقودهم جميعًا طفلٌ صغير.
ويرعى الدّبّ بجوار الأنعام
ويبيتُ أولادُهما معًا في وئام
ويأكل الأسد التبنَ كالثيران.
ويلعب الرّضيع بكلّ أمان على وكر الأفعى،
ويمدّ يده في جُحر الثعابين!
في جبل الله المقدّس العظيم
لا شيء يؤذي ولا شيء يضرّ
لأنّ الأرض ستمتلئ بمعرفة ربّ العالمين،
امتلاء البحار ماءً.
وفي ذلك اليوم المشهود
يقوم وريث مملكة النبي داود رايةً للعالمين.
فتلتفّ الأُمم حوله وتكون بلاده محلّ مجد وتكريم.

الله يرحم قوم ميثاقه[٦]

قال الله تعالى للنبي أشْعَيا (عليه السّلام):
ثبّتوا عزيمة قوم ميثاقي! نعم، ثبّتوا عزيمته وانصروه!
شدّوا أزر أهل القدس ولا تضيّعوه!
بشّروهم بنهاية زمن تأديبهم في بلاد السّبي والهوان
ونهاية عقابهم على الآثام الّتي ارتكبوها في سالف الأزمان.
فقد عاقبتُهم على كلّ خطاياهم أضعافًا!
انتبهوا إلى صوت يأتيكم من البراري:
هيّئوا أنفسكم لمولاكم،
ومهّدوا السّبيل لقدوم الملك العظيم
فلأجله اِرفعوا كلّ وادٍ واخفِضوا كلّ جبل،
واِجعلوا كلّ معوجّ مستقيما
وكلّ وعر قويما
فيتجلّى جلال الله فيكم في بهاء
ويراهُ البشر أجمعون!"
إنّ هذا هو قول الله المبين.[٧]
وجاء صوت هاتف إلى النّبي أشْعَيا يقول: "اِقرأْ".
فأجاب: "ماذا أقرأُ؟"
قال: اِقرأ إنّ البشر كالعشب النديّ،
وكزهرِ العشب منظرهم البهيّ.
بنفخةٍ مِن الله يموتُ العشب ويسقط الزّهر على التّراب،
كذلك البشر إلى الفناء واليباب.[٨]

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 40: 1-15.

[٧] اقتبس النبي يحيى بن زكريا (عليه السلام) كلام النبي أشعيا هنا عندما بلّغ الناس بمجيء المسيح المنتظر (انظر الإنجيل، لوقا 3: 3-6). ورأى النبي يحيى أن نبوءة أشعيا تؤكّد أنّ في السيد المسيح يتجلّى جلال الله.

[٨] يقتبس الحواري يعقوب بعض الكلمات من النبي أشعيا هنا، لكي يؤكّد أن الرجل الثري سيفنى مع بهائه (انظر رسالة يعقوب 1: 10-11).

نعم، يموتُ العشب ويسقط الزّهر على الأديم،
أمّا بلاغُ الله فيبقى إلى أبد الآبدين!
يا قُدس أبشري! ويا أهل القدس، اهتفوا بالبشرى من أعالي الجبال!
اِرفعوا أصواتكم عاليًا، ولا تخافوا!
قولوا لبقيّة مدن يَهوذا:
"هوذا ربّكم ذو الجلال!"
يأتي الله مولاي بقوّة واقتدار
ويحقّق بيد متينة الإنتصار!
إنّه قادم بجزائه لعباده الأبرار.
إنّه يرزق قومه بمنتهى العناية
كالرّاعي الّذي يحضن صغار القطيع،
ويحملها بحنانه الوديع
ويقودُ مُرضعاتها بلطف ورعاية.
فالله تعالى مدّ السّماوات وبسط البحار
بكل سهولة فهو العزيز الجبّار.
إنّ عمله كان بارعًا وكان بنيانه خارقا!
إنّه عليم بوزن تراب الأرضِ ويدرك جبالها
ويحسب بالميزان تلالَها.
مَن يقدر أن يكون لروح الله مرشدًا،
أو له تعالى بالنّصائح مسدّدا؟
وهل يحتاج الله إلى مشورة البشر الفانين
أو هداية إلى سبيل الحقّ المبين؟
هل يحتاج القدير إلى معرفة وتعليم
أو إرشاد إلى طريق الفهم القويم؟
إنّ العالمين عنده قطرة من دلوٍ أو غبار في الميزان.
والأرض وكلّ ما فيها ذرّة مِن تراب عنده في الحسبان.[٩]

---

[٩] انظر سورة الزمر: 67.

الله يقوّي المتّكلين عليه[١]

أما عرفتم؟ أما سمعتم؟
أنّ الله الباقي الصّمد،
خالق أقاصي الأرضين
لا يأخذه كللٌ ولا مللٌ[٢]
وفَهمُهُ لا تحدّه حدود ولا سدود!
يهب الضّعفاء قوّةً
ويمنح المغلوبين على أمرهم قدرةً.
ألا إنّ الشبّان ليكِلّون،
ثمّ يتعثرون ويسقطون.
أمّا الّذين على ربّهم يتّكلون
فمن جديد يتقوّون
وبأجنحة كالنّسور يطيرون.
وإذا ركضوا لا يتعبون
وإذا ساروا لا يكِلّون.

عبد الله المنتظر[٣]

قال تعالى: "هوذا عبدي المختار المنتقى،
حبيبي المرتضى،[٤]
أفضتُ عليه روحي، فيُقيم العدل بين الورى،
لا يخاصم ولا يصيح
ولا يرفع صوته في الأسواق

---

[١] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 40: 28-31.

[٢] انظر سورة البقرة: 255.

[٣] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 42: 1-9.

[٤] حين تطهّر السيد المسيح بالماء في بداية دعوته، جاء صوت الله من السماء بكلمات تشبه إلى حد كبير هذه الكلمات من النبي أشعيا (انظر الإنجيل، متّى 3 : 17) وبهذه الطريقة أكّد الله أن السيد المسيح حقق نبوءة أشعيا الواردة هنا.

ولا يتجبّرَ فيسحق في الأرض المستضعفين
كأنّهم قصبة مُهشّمة أو بقايا نار في مهبّ ريح
بل يأتيهم بالإنصاف القويم،
ولا يتوانى ولا تحبط عزيمته حتّى يقيم العدل في الأقاصي والآفاق.
وستضع الشعوب رجاءها في إرشاده الصّحيح.
إنّ الله خالق السّماوات وبارئها العظيم
باسط الأرضِ وكلّ ما فيها
واهب الناس نفحة الحياة
منعمًا بالروح على أهل الدنيا.
ويقول له تعالى:
"يا عبدي إنّي ربّك، وقد أرسلتُك وفاء لوعودي
وأخذتُ بيدك وحفظتك.
وأرسلتُك ترسيخًا للميثاق الذي أقمته مع عبادي
إنّك للأمم النّور الهادي،[٥]
تفتح عيون العميان،
وتُطلِق الأسرى من السّجونِ
وتخرج القابعين في الظلمات إلى النور.
أنا الله، وهذا اسمي،
لا شريك لي في جلالي،
ولم أرض لي من بين الأصنام أندادا من دوني يسبّحون،
ولقد تحقّق ما جاءت به النّبوءات،
وننزل عليكم الوحي من جديد،
ليخبركم بما ستلقونه في الحياة،
وقبل حدوثه ننبئكم به".

---

[٥] بعد ميلاد سيدنا عيسى رآه أحد أولياء الله الصالحين وعلم أنه المنجّي المنتظر فأخذ حينها هذه الكلمات من النبي أشعيا قائلا أن المسيح هو: ((يكون لشعوب الأرض هاديا ونورا)) [انظر الإنجيل، لوقا 2: 25-30].

الله يختار الملك كورش[٦]

هذا قول الله تعالى للملك كورش ذاك الّذي رفعه على عرش حُكمه، وشدّ يمينه لكي يقهر الأمم في طريقه ويجعلهم له صاغرين، ويكسر شوكة ملوكها والسلاطين، فيستولي على القلاع والحصون، وتنفتح الأبواب واسعة ولا تُغلَق في وجهه ولا حين! قال له تعالى: "إنّي أمامك سأتجلّى فأُمهّد لك الجبال، وأُحطِّم أبواب النحاس الثّقال، وأَكسرُ حواجز الحديد! وأُعطيك ما في الظّلمات من كنز مرصود، فتعلم أنّي أنا الله الّذي يعبده بنو يعقوب، وقد سخّرتُك بنفسي لتنفيذ المقصود. ورغم أنّك كنتَ تجهل من أكون، فقد سخّرتُك لمن في آل يعقوب من عبادي المختارين من أجل مقصدي الكريم. أنا الله لا شريك لي، ولا إلهَ غيري. ومع أنّك لا تعرفني، فقد وهبت لك قوّة حتّى تشنّ الحروب، ليعلم البشر من مشارق الأرض إلى مغاربها: أن لا إلهَ إلاّ الله. أنا الله وحدي لا شريك لي! أنا خالق الظّلمة والنور، أنزل الهناء والشّقاء. أنا الله الّذي يقدّر كلّ هذه الأمور".

سأتمّ وعودي، وأفتح السّماوات لتُمطر الغيوم بالنّصر المبين! فتنبت النجاة من الأرض تحقيقًا لميثاقي. أنا الله الخالق البارئ العظيم.

يا للخيبة! أخالقكم تخاصمون، وأنتم مجرّد قطعة خزفٍ من طين؟ كيف يتجرأ مخلوق من طين أن يقول لمن جبله: "لقد أخطأتَ في عملك"؟ وكيف له أن يقول: "عملك تعوزه دقّة وإتقان؟"

كيف لولد أن يسأل أباه: "لماذا أنجبتَني أبتاه؟" أو يسأل أمّه: "لماذا ولدتني على هذا الشكل يا أمّاه؟"

أنا الله القُدّوس ملك بني يعقوب، أنا الخلاّق العليم. فكيف تسألونني عمّا أعدّدته لمستقبل عيالي المختارين؟ كيف تشيرون عليّ في ما أعددته لكم وكيف تحتجّون؟ إنّا خلقنا الأرض وخلقنا الإنسان ليعمّرها. إنّي باسط السّماوات ونجومها، وكلّها في قبضتي أفلا تدركون! وتحقيقًا لوعودي أقمتُ الملك كورَش على عدل، ويسّرت له كل الشّؤون. وسأجعله يعيد بناء مدينة

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 45: 1-13، 17-25.

القدس التي أخترتها ويطلق من غير حساب كلّ عبد لي في بابل أسير. هذا وعد الله العزيز القدير!

إنّ اللهَ ينجّي بني يعقوب نجاةً أبديّةً، فلن يلحقهم الخزي ولا الذل في قادم العصور وعلى مدى الدهور.

إنّ الله خالق السّماوات والأرض، وما خلقها خرابا إلاّ لتكون عامرة بمخلوقاته. قال تعالى: "أنا الله لا شريك لي. أكشف عن وعودي بجلاء ولا أتعمّد الخفاء! لم أطلب من آل يعقوب أن يسعوا إليّ دون جدوى! بل أنا الله وقولي لا يكون إلاّ صدقا.

قال تعالى:"يا من هم في الأُمم المجاورة موزّعون، اِجتمعوا وتعالوا إليّ جميعًا وأقبلوا، أيّها التائهون! ما أشدّ جهلَ الّذين للأصنام الخشبيّة يحملون ولأوثان عاجزة عن نجاتهم يتضرّعون! فتشاوروا في ما بينكم واعرضوا حججكم: مَن الّذي أوحى بما جرى منذ قديم الزمان؟ هل أنبَأَ بهذه الأحداث وثن من الأوثان؟[٧] ألستُ أنا الله الّذي أوحى إليكم بها وهل أوحى بها لكم أحد غيري؟ أنا الله لا شريك لي، أنا ربّكم المنجّي الأمين".

ويضيف الله: "ليلتجئ إليَّ أهل الدنيا جميعا لعلّهم ينجون! أنا اللهُ لا شريك لي. أقسمتُ بعزّتي وجلالي، لا رادّ لقولي: سيركع الجميع لي على ركبهم، والكلّ لي مبايعون". ويقولون: "إنّ الله وحده واهب العزّة والإخلاص، نتوب إليه خاضعين، نحن الّذين غضبنا منه ها نحن إليه راجعون". وسينال جميع المعتصمين بالله من بني يعقوب رضاه ويسبّحون بحمده جلّ في علاه.

نشيد العبد المختار[٨]

يا أهل البلاد البعيدة استمعوا إليّ بانتباه،
واصغي أيّتها الأُمم في الأقاصي:
إنّ الله اصطفاني وسجل اسمي مذ كنتُ في رحم أُمّي.
وجعل ما أنطق به من أحكام كالسيف المصقول.
وبيد قديرة يحميني فهو لي ظلّ ظليل.

---

[٧] انظر سورة الأعراف: 196.

[٨] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 49: 1-16.

وجعلني سهمًا مبريّا وفي حماه أخفاني.
وأوحى إليّ:
"يا عبدي، قد اخترتك اختيار عبدي يعقوب، وبك يُرفع ذكري المجيد".
أمّا أنا فقلتُ: "ولكنّي اجتهدتُ كثيرًا ويبدو أن لا جدوى من جهدي الجهيد!
حقّا! لا فائدة من كل أتعابي!
بل عند الله ثوابي،
وهو يجازيني على عملي خير الجزاء".
والآن يقول الله الّذي كوّنني تكوينا
عبدًا له مذ كنتُ في الرحم جنينا
وأرسلني لأرُدّ إليه بني يعقوب العاصين
وقد أكرمني تعالى وشدّ عزيمتي لأحقّق الرسالة:
"يا عبدي
لا يكفي أن تهدي بقية عشائر بني يعقوب وتجعلهم لي منيبين
بل جعلناك نورًا للأُمم،
فتحمل إلى الأقاصي النجاة للعالمين".[٩]
وأوحى الله القدّوس نصير بني يعقوب إلى عبده المنبوذ من الأُمم، إلى خادم السلاطين:
"عند مرورك يقف لك احترامًا الملوك والحاكمون
وينحنون أمامك تقديرًا
إن ربّك كان أمينا وبالثقة جديرا
وهو القدّوس معبود بني يعقوب، وقد اختارك دون العالمين".
يقول الله تعالى:
"لقد استجبتُ لك حين ألقيت عليك مرضاتي
وساعدتُك حين وهبتُهم نجاتي.
إنّي بك خير حافظ وبك أبرم مع أمّتي ميثاقي

---

[٩] كان هذا الكلام بمثابة دعوة لبني يعقوب ليحملوا النور والنجاة إلى كلّ الأمم. ولكنّ السيد المسيح هو الذي حقّقها مع حواريه وأتباعه الذين نادوا برسالته، كما نرى في خطابهم إلى المستمعين اليهود (انظر سيرة الحواريين 13: 47).

فتعمر الأرض من جديد،
وتعطي لعبادي من تلك البلاد المهجورة ميراثي،
فتقول للأسرى: "أُخرجوا من الظلمات إلى الضياء!"
فأرعاهم مثل خراف ترعى في مراع خضراء
وفي الرّوابي التي كانت في الماضي مقفرة خلاء.
فلن يكونوا بالجوع أو العطش مُبتلين،
ولا بالشمس أو الحرّ مصابين،
فإنّ الرحمن يهديهم إلى ينابيع مياه[١]
وأفتح لهم في جبالي سبيلا مستقيمًا
وفوق الأودية نهجًا قويمًا.
ويُقبلون مِن أقطار بعيدةٍ ومن كل الاتجاهات،
من الشمال ومن الغرب،
ومن أسوان في جنوب مصر".
فابتهجي أيّتها الأرض، واهتفي فرحًا أيّتها السماوات،
وارفعي صوتك غناءً أيّتها الجبال![٢]
لأنّ عباد الله ذاقوا أمرّ الأهوال
وها أن الله تعالى يخفّف عنهم ويرحمهم بعد هذه الأرذال.
قال أهل القدس: "لقد تَرَكَنا الله وجعلنا مَنسيين"!
فأجابهم ربّهم الرحيم:
"وهل تنسى الرّضيعَ الأمّ الحنون؟
أتغفل عن وليدها الذي أنجبته؟
ولئن تخلّت عنه،
فما أتخلى عنكم!
يا عبادي، إنّي باسط حفيظ لكم في كلّ حين

---

[١] وردت هذه الكلمات للنبي أشعيا في الإنجيل للإشارة إلى أتباع المسيح المخلصين بعد نجاتهم من اضطهاد عظيم (انظر الإنجيل، الرؤيا 7: 13-17).

[٢] انظر سورة سبأ: 10.

وأنا لمدينتكم حامٍ أمين.

بيان الرجاء[٣]

ما أحلى على الجبال خطوات المرسلين،
الّذين ينادون بالسّلام على المنصتين،
المبشّرين بالخير والنجاة، القائلين لأهل القدس إنّ الله مولاكم ملك العالمين.[٤]
فيرفع الحرّاس أصواتهم فرحًا منشدين،
لأنّهم إلى تجلّيات الله في القدس ينظرون!
يا قُدس، اعمري بعد الخراب، فقد خفّف الله هموم أهل ميثاقه وجاء إليك بالنصر المبين!
إنّ الله الباسط القدّوس يظهر قوته أمام أمم العالمين،
وإنّ كلّ البشر سيعلمون كيف أنقذ الله تعالى عباده أجمعين.
اخرجوا يا عبادي! نعم، اخرجوا من بلاد سبيكم وكونوا لنجاستهم مجتنبين.
ارحلوا وتطهّروا يا من أنتم لآنية بيت الله المقدّسة حاملون.
لكن لا داعي حتّى تستعجلوا خروجكم ولا تفرّوا طلبا للنجاة بحياتكم،
فالله ربّكم من أمامكم ومن خلفكم يحميكم، ومن كلّ شرّ ينجّيكم.

معاناة عبد الله ونصره[٥]

قال الله تعالى: "لينتصرنّ عبدي نصرًا لميعا،
وليُرفعنّ بين الناس ويكسبنّ مقاما رفيعا.
بيد أنّ الدهشة تصيب أغلب المراقبين،
فوجهه شُوِّه تشويهًا أليما واختفت ملامح الإنسان مِنه فهو من المنكرين.
ستذهل أمامه أمم الغرباء،

---

[٣] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 52: 7-12.

[٤] اقتبس الحواري بولس من هذه النبوءة للنبي أشعيا لكي يشير إلى دعاة رسالة السيد المسيح (انظر الرسالة إلى أحباب الله في روما 10: 15).

[٥] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 52: 13-15، 53: 1-12.

وسيصمت الملوك في حضرته المهيبة وأفواههم خرساء،
وإنّهم لغير ما أُخبِروا به يبصرون.
نعم، ولِما لم يسمعوا به يدركون".
اللهمّ يا مولاي، قليلون هم الّذين بالرسالة التي بلّغناها مؤمنون!
أين أولئك الّذين لتجليّات قوَّة الله متقبّلون؟[٦]
إنّ عبد الله المصطفى،
قد نما أمام الله تعالى،
نموّ نبتةٍ خضراء،
أو نموّ جذر في أرض قاحلةٍ جرداء.
لا هيبة ولا وقار له يجذبنا نحوه أو يشدّنا إليه.
كان بيننا محتقرًا مَنبوذًا، قاسى أحزانا وآلاما لا تُحصى.
نبذناه وما اكترثنا به، فكنّا عنه مُدبرين.
لقد تحمّل أمراضنا وأوجاعنا وكان بها عليما خبيرا،[٧]
وكنّا نظنّ أنّ الله بسبب ذنوبه ابتلاه!
لكنّه في الحقيقة أصيب لأنّنا خاطئون،
سُحق لأنّنا مذنبون.
سلمت حياتُنا حين تقبّل عنّا الضربات
وحمل عنّا الجِراحات.
إنّا كنّا جميعا عن الصراط المستقيم تائهين،
كغنم تاهت في البراري، ولكنّ الله حمّله كلّ ما لنا من أوزار.
ضربه الناس وأذلّوه،
فلم ينبُس ببنت شفةٍ، لم يفتح فمه حين أخذوه،
كان كالشاة تُساقُ إلى الذّبْحِ ولا أحد يبكيه،
أو مثل حملٍ صامتٍ ذليل بين يدَيْ مَن يجُزّ صوفه ويعرّيه.

---

[٦] يوكّد الإنجيل أنّ هذه النبوءة تحققت عندما رفض كثير من الناس الإيمان بالسيد المسيح رغم مشاهدتهم لما أجراه من معجزات (انظر الإنجيل، يوحنّا 12: 37-39).

[٧] جاء في الإنجيل أنّ هذه النبوءة تحققت عندما حرّر سيدنا المسيح الناس من مسّ الشياطين وشفى كثيرا من المرضى (انظر الإنجيل، متّى 8: 16-17).

أذلّوه بحُكمِهم القاسي وظلموه،
ومَن منّا توقّع أن يتحمّل كل هذا الإثم الّذي ارتكبه شعبه!؟ إنّهم من الحياة الدّنيا حرموه.[٨]
فقضى لأجلِ شعب تراكمت معاصيه.
جعلوا قبره بين الأشرار ودفنوه مع الأغنياء،
مع أنّه لم يرتكَب خطيئة، وما كان أبدًا مِن الماكِرين.
إنّما كان قضاء الله أن تَسحَقهُ الآلام،
فجعله يضحّي بحياته تكفيرًا عن الآثام،
ورغم ما حصل له فستَطولُ عليه الأيّام،
وسيشاهد مَن سيخلفه من الآنام،
ويتحقّق على يده مَقصد الله الأسمى.
وبعد أن يعاني كلّ هذه الابتلاءات،
يرضى عما اكتسبه من عذابه في الحياة.
وسيجعل الله من عبده المرتضى،
سببًا لقبول كثير مِن العالمين،
لأنّه سيطهّرهم من جميع الخطايا.
ولذلك قال الله: "لأرفعنّ مقامه إلى مقام الوجهاء،
فهو صاحب الفوز المبين،
إذ ألقى بنفسه إلى الموت.
بعد أن حسِبوه من المتمرّدين،
وهو الّذي شفع فيهم وحمل خطايا الكثيرين".

وليمة الله الموعودة[٩]

وفي القدس سيقيم الله العزيز القدير

---

[٨] وردت في سيرة الحواريين قصّة لوزير من مملكة النوبة كان يقرأ هاتين الآيتين من نبوءة أشعيا، فأرسل الله أحد أتباع السيد المسيح واسمه فيليب لكي يشرح له أنّ هذه الكلمات تشير في الحقيقة إلى المسيح المنتظر (انظر سيرة الحواريين 8: 26-40).

[٩] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 25: 6-8.

لكلّ الشعوب وليمة بديعة بخير وفير،
عامرةً بأفضل الطعام والشراب.
وهناك يُزيل الله تعالى ظلال الموت الكئيب
الّتي تُخيّم مثل الكفن على جميع الشعوب،
ويزيل كل المنايا الّتي تهدّد العالمين.
أجل! يهلك الله الموت إلى أبد الآبدين!
ويكفكف مولانا الدّموع عن الوجوه لحظة البكاء،
ويزيل ذلّ قومه ويرفع المهانة الموجّهة إليهم في كلّ الأنحاء.
انتبهوا جيّدًا لأنّ هذا وعد الله تعالى!

طريق المنذورين[1]

في الأيّام القادمة، ستفرحُ البادية والصّحراء
ستزدان الفلاة بالزّهور وتبتهج البيداء!
نعم، ستُزهِر وتبتهج بهجةً عظيمةً!
ستخضرّ الصّحراء مثل جبال لبنان،
وتكتسي روعة جبل كَرْمَل وساحل شاران،
فهناك يتجلّى الله والكلّ يشاهد مجد ربّ البهاء.
فبشّروا بهذه الأخبار مَن ضعُفتْ عزيمتهم
وساعدوا الّذين وهنتْ قوّتهم.
قولوا للذين فقدوا الشّجاعة خائفين:
"شدّوا عزائمكم ولا تولّوا مدبرين!
إنّ ربّكم يجازي أعداءكم،
وينجّيكم بنصره المبين".
يبرئ الأكمه الذي لا يرى
ويعيد السّمع لآذان الصُمّ المساكين.
ويقفز كالغزال المقعد منذ سنين
ويهتف الأبكَم فرحًا بالشّفاء!

---

[1] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 35: 1-10.

وتنفجر المياه في البوادي بعد الجفاف
وتسيل الأنهار في الصّحراء،
ويتحوّل السّراب إلى واحةٍ،
والرّمضاء ينابيع ماء،
وينمو العشب والقصب والبرديّ في البيداء
حيث يسكن ابن آوى الآن.
وتمتدّ في تلك البلاد المتجدّدة طريقٌ سالكةٌ
تدعى طريق المنذورين،
لا يَعبر فيها النّجسون،
وإنّما يسلكها مَن يتبع الصّراط المستقيم
لا وجود فيها للجهلة الفاسدين.
ولا أسد بجوارها يتربّص،
ولا غيره من الحيوانات المفترسة يتشخّص،
هي طريق لا يسلكها إلاّ الّذين جعلهم الله من الناجين.
وأعادهم إلى بلادهم سعداء
وعند عودتهم إلى جبل الله المقدّس في القدس، تتعالى أصواتهم بالغناء
والبهجة تكلّلهم على طول الزّمان.
ويغمرهم الفرح والسّرور والرّضى،
ولا يصيبهم الأسى ولا هم يحزنون.

عقاب المتمرّدين[٢]

قال الله تعالى:
"أنا مستعد أن أساعد الناس، ولكنّهم لا يستغيثون،
نعم، أنا مستعد أن يعرفوني، لكنّهم لا يطلبون،
وقلتُ ها أنا، ها أنا هنا!
لأُمّةٍ رفضت أن تستنجد بي وأفرادها بي لا يستجيرون.
بَسطتُ يديّ بالرّحمة يومًا بعد يومٍ لشعبٍ مُتمرّدٍ عنيدٍ[٣]

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 65: 1-9.

عن سواء السبيل قد ضلّ الضلال البعيد
يتّبعون أهواءهم في طريق غير رشيد
وأفراده يتسارعون جهرا إلى غضبي في كل الأزمان
إذ يشركون بي ويقدّمون قرابينهم للأوثان
جعلوها في بساتين وإليها يسجدون
ويُحرِقون بخورًا في معابد الأصنام.
ويبيتون في المقابر ليستشيروا أرواح الموتى
حيث يعبدون الأوثان ويأكلون لحم الخنزير،
ويتناولون لحمًا نجسًا مع حسائه النكير.
ويقول أحدهم للآخر: ابتعد عني ولا تنجّسني!
فأنا أقدس منك وأطهر!
وهؤلاءِ يثيرون غضبي طول النهار
وهم كدُخان كريه يحمل الغبار.
إنّنا أصدرنا المرسوم بكلام مرقوم:
إنّا عن قرارنا لا ننثني،
ولهم مني الجزاء الذي لا ينقضي
أجل، سأعاقبهم عقابًا هو لهم جزاء أوفى
على خطاياهم وخطايا آبائهم القدامى.
إنّهم يحرقون البخور لأوثانهم على الجبال
ويستخفّون بي في المعابد على التلال.
نعم، سأجازيهم على ما تقدّم من ذنوبهم العظام.
وإنّ مثلهم كمثل عُنقود عنب فاسد
فيه حبّات طاهرة،
فلا يتلف كلّه ولا يلقى
كذلك لن نهلك كلّ بني يعقوب
إذ ما زال فيهم بقية من عبادي الصالحين.

---

(٣) انظر سورة المائدة: 64.

فأحفظ قلة من آل يعقوب المصطفين
فالقليل من ذرّيّة أهل يهوذا والسامرة يدخلون الأراضي التي وعدتهم بها.
وهناك يسكنون.

خلق الله الجديد[٤]

يقول الله تعالى:
"ها أنا أخلق سماوات جديدةً وأرضًا جديدةً، فينسى الناس الماضي البعيد.[٥] فافرحوا، يا عبادي، وابتهجوا إلى الأبد بما أخلق. إنّي أخلقُ القدس وأملؤها سرورًا وحبورا، فيغمر الفرح العظيم أهلها! إنّ بهجة القدس بهجتي وفرحُ أهلها فرحي.
ولن يُسمع فيها صوتُ بكاءٍ ولا هم يحزنون،
ولن يموت فيها صغار في المهد والشيوخٌ يستكملون أعمارهم قبل أن توافِيَهم المنون،
فمَن يموت قبل أن يبلغ مئة سنة يعتبره الناس ملعونًا، إذ مات صغيرا.
وفي الأيّام القادمة، يسكن عبادي في البيوت التي يبنونها ويتمتّعون بثمار الكروم الّتي يَغرسونها. لا أحد ينزع منهم بيوتهم أو كرومهم فهم في أمان ينعمون! بل تطول كَأيّام الشجر أيّام عبادي المختارين، وبما كسبت أيديهم يتمتّعون. فهم لا يتعبون دون طائل ولا مكروه يصيب أولادهم، إنّما هم من الله مباركون، هم وذريّتهم أجمعون . إنّي أستجيب لهم قبل أن يأتيني منهم الدّعاء، وفيما يتضرّع كلّ واحد منهُم أمنحه ما يشاء. ويرعى الذئب والحمل معا في وئام، ويأكل الأسد التبنَ كالثّيران. أمّا الحيَّة فتأكل من التراب.
لا شيء يؤذي ولا شيء يضرّ في رحاب جبلي المقدّس".
هذا وعد الله الوهّاب.

---

[٤] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 65: 17-25.

[٥] ورد في الإنجيل تذكير بهذه الآية من أشعيا ضمن وصف ليوم الدين، عندما يجازي الله عباده الصالحين (انظر الإنجيل، الرؤيا 21: 1).

عهد السلام الأبدي[٦]

قال الله تعالى: "يا قدس، أنتِ لم ترزقي بأبناء مطلقًا وحرمت منهم، فهلِّلي الآن وأَبشِري وكوني من السّعداء،
وانظري إلى ما عندك من أبناء،
إنّهم يفوقون عدد أبناءِ امرأةٍ وَلودٍ تزوّجت منذ زمنٍ بعيد!
كبّري مساحة بيتك ووسّعي الأرجاء،
مثل امرأة ترخي حبال خيمتها وتمدّها وتثبّت أوتادها.
فأهلكِ يا قدس سيتكاثرون وينتشرون ويملؤون أنحاء بلادها،
وسيتكاثر عدد ذريتك فيعمّرون فيها المدن الّتي كانت خرابًا ويستولون على أراض غريبة.
هوّني عليكِ يا قدس! ولّى عهد الأحزان،
ولن يلحقكِ الذل والهوان،
وستزول كلّ المتاعب الّتي أنزلها الله عليك في سالف الأزمان.
لأنّك أنتِ المصون عند الخالق، إنّه العزيز القدير.
الله القُدّوسُ الّذي آمن به النبي يعقوب هو لك خير نصير،
ربّ كلّ الأرضِ العليّ الكبير.
قال تعالى للقدس: أيّتها المهجورة المكروبة،
كنت فيما مضى منبوذة،
والآن جعلتكم جميعا لي راجعين.
بعد أن هجرتُكم لحين،
وها أنّي أضُمُّكم إلي بعطفي الرحيم.
إنّي حجبت وجهي عنكم بغضبي الشديد، ولكنّي الغفور التوّاب،
وأرحمكم برأفة أبديّة، هذا وعد ربّكم المنجّي النصير.
وكما أقسمتُ في زمن عبدي نوحٍ ألاّ أعيد على الأرض مياه الطوفان،
ها أنَي أقسم ألاّ أغضب عليكم وأُعاقبكم بعد الآن.
قد تزول الجبال وتتزعزع التلال وأمّا وفائي لكم فلا يزول، ولا ألغي ميثاق

---

[٦] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 54: 1-13.

السلام الّذي أقمتُه معكم".
كذلك قال ربّكم الرحيم.
يا قدس، أيّتها المَنفية الّتي ضربتْها العواصف بلا عزاء،
سأبني أسوارَكِ بحجارة كريمة وأَضع قواعدك من الأزوَرْد ذي الضّياء،
وأجعل أبراجكِ ياقوتًا وبواباتكِ حجارة بَهرَمانٍ وتكون جميع أسوارِكِ حجارةً كريمة ذات بهاء.[٧]
إنّ الله يهدي جميع أهلكِ، فيعمّهم السلام آمنين."

الصوم المقبول[٨]

قال تعالى:
"يا أشعيا، نادِ بأعلى صوتك ولا تتردّد
ارفع صوتك كالصور
أخبِر بني يعقوب عن عصيانهم!
إنّهم بالإيمان يتظاهرون
وفي عباداتهم اليوميّة يدّعون أنّهم لتعاليمي طالبون
فيتصرّفون كأنّهم أُمّة تسعى لمرضاتي
ولا تُهمل وصايا ربّها ولكنّهم مخادعون.
إنّهم يطلبون منّي الإنصاف
يبتغون التقرُّب إلى حضرتي وهم واهمون
فيقولون: "يا ربّ، لماذا لا تبالي بما نعانيه في الصّيام؟
ولماذا لا تهتمّ بتورّعنا وتزهّد ذواتنا والنكران؟"
ألا إنّكم في سبيل مصالحكم تصومون
ولا تتورّعون عن ظلم عمّالكم الأشقياء!
أمّا الصيام فتبدّدونه في النّزاع،

---

[٧] تتحقق هذه النبوءة التي تصف إعادة بناء القدس بطريقة روحانية وشاملة من خلال تدشين مدينة الله في الآخرة التي تضمّ العابدين من جميع الأمم. فقواعد مدينة الله وبواباتها مصنوعة من كل أنواع الأحجار الكريمة (انظر الإنجيل، الرؤيا 21: 18-21).

[٨] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 58: 1-12.

والعراك فيما بينكم بضربات اللّئام!
فصيامكم على هذا المنوال
لا يجعل دعاءكم مستجابًا عند ربّكم المتعالي!
كيف تظنّون أنّي أقبل بظاهر امتناعكم عن الشّراب والطّعام
وأنتم تحنون رؤوسكم كنبتةٍ
وتتظاهرون بالتوبة فتجلسون على الخيش والرماد؟
فهل تراكم تزعمون أنّ صومكم هذا توبة إلى الله ورشاد؟
وهل أنتم واهمون أنّ الله سيقبله كأنّه ورع من الزّهاد؟
إنّما الصوم الّذي يقبله الله ربّكم
أن تحرّروا مَن وُضع بغير حقّ في الأصفاد
وأن تخفّفوا الأعباء عن كاهل عمّالكم المساكين
وأن تُطلقوا سراح المستضعفين،
وأن تحطّموا كُلّ القيود والأغلال!
وأن تقتسموا قوتكم مع الجياع المحرومين
وأن تُؤووا المساكين المشرّدين في منازلكم خير الاستقبال
وأن تكسوا العراة
وأن تكونوا في عون أقاربكم المحتاجين.
فيعمّكم نور الله كبزوغ فجر اليقين
وسريعا يحلّ عليكم الشفاء!
وتسيرون في طريق الاستقامة والوفاء
ويحيطكم الله بجلاله العظيم.
عندئذ تدعون الله فيستجيب
وتستغيثونه فإذا هو لدعواتكم قريب مجيب.
إنْ نزعتم الظلم عن قومكم استصغارا
وتجنّبتم كلام السوء والإشارة بالإصبع احتقارًا،
واجتهدتم في إطعام الجياع ومساعدة المساكين
يُشرِق نورُكم في الظلمات اشتهارا

ويتحوّل سواد الشرّ الّذي يحيط بكم إلى نور مبين.[٩]
فتكونون في هداية الله كلّ حين
ويُشبعكم من طيّباته رغم جفاف الصحراء.
ويعافيكم ويجعل حياتكم كجنان النعيم أو نبع يتفجّر ماء
ومنكم مَن يعيد بناء مدنكم التي عمّها الخراب
فيلقّبكم الناس بـ "مُرمّمي السور المتهدم القديم"
وبـ"بناة المساكن الماهرين".

اهتداء الأمم[١]

قومي أيّتها المدينة المقدّسة وأشرقي بنورك على العالمين
فقد أنار الله عليكِ بنوره المبين!
مع أنّ أمم الأرض تقبع في الظلمات،
والسواد الدامس يغطّيها،
فقد أشرق الله عليكِ وأهلكِ بالنّور العظيم
وحولكم يتجلّى جلال الله الحليم!
فتُقبِل الأُمم إلى ما أشرق عليكم من إشراق زاهر
وتُقبِل الملوك إلى تجلّيات نوره الباهر.
انظروا حولكم!
فأبناؤكم قادمون من بلاد المَهاجِرِ
وبناتكم يُحمَلنَ في الأحضانِ،
فتنظرون إليهم وتفيضون فرحًا وحبورا
وتنشرح صدوركم سرورًا!
فيُقبِل تجّار الدنيا يعبرون البحار،
حاملين ثروات الشعوب بالأغمار.
وتأتيكِ أيتها المدينة المقدّسة قوافل الجمال
قادمة من بلاد مِديَن وعِيفة، فتملئين بالخير الوفير

---

[٩] قارن سورة البقرة: 257.

[١] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 60: 1-7.

وتتهافت عليك مِن سبإ أمم وشعوب
مُحمَّلة بالذهب والبخور
وكلّ القوافل تسبِّح بحمد الله.
ويجمع عرب بلاد قَيدر كلّ قطعانهم
ويُحضر أهل نَبايُوت أكباشهم،
ليقدموها أضاحي مرضية إكرامًا لله الحميد،
وبها أُزيّن بيتي المقدّس المجيد.

بشرى النجاة[٢]

يقول النبي أشعيا (عليه السّلام):
حلّت روح الله عليّ،
فقد اختارني لأبشّر المساكين،
وأضمّد أصحاب القلوب المكلومة المجروحين،
وأُعلِن فكّ أسر المقيّدين،
وأطلق سراح المحبوسين،
وأُعلِن زمن حلول الرّضى مِن ربّ العالمين
ويوم قصاصه من أعدائه المخاصمين.[٣]
فالله أرسلني إلى القدس لأُعزّي جميع الحزانى
وأجمّلهم بإكليل الغار بدل الرّماد
وأعطّرهم بعطر الفرح بدل حزن المكلومين
وألبسهم رداء الفرح بدل الحِداد.
إنّهم ثابتون في حماسهم لمرضاة الله تعالى
ثبات أشجار السِنديان الشامخة فوق الرّبى

---

[٢] استنادا إلى كتاب النبي أشعيا 61: 1-11.

[٣] اقتبس سيدنا المسيح عندما أعلن لمن حوله انطلاق رسالته من هذه النبوءة لأشعيا وتحديدا الكلمات الأولى (انظر الإنجيل، لوقا 4: 16-21). وتجدر الإشارة إلى أن المسيح لم يذكر بقية الكلمات في النبوءة وهي: ((ويوم قصاصه من أعدائه المخاصمين)). لأنّ رسالته كانت فقط من أجل نشر الغفران والسلام والمصالحة بين الناس بما في ذلك أعداء شعبه.

الّتي زرعها الله تمجيدًا له في كلّ البلاد.
فيُعمّرون من جديد مدنهم المدمَّرة،
أجل، سيُرمّمون تلك المدن المنهدمة منذ أجيال وأجيال!
ويرعى الأغراب قطعانكم في مشقّة الأشغال
وهم في حقولكم وكُرومكم عمّال.
أمّا أنتم فيسمّونكم أحبارًا لله المتعال،
وتحظون بخيرات الأُمم المتكاثرة،
وتفتخرون بثرواتها الوافرة.
قاسيتم الذلّ والخزي في الزمن الذي مضى
أمّا الآن فستتمتّعون بكرم كبير ليس له انقضاء
وتملكون في بلادكم أضعافًا من الرّخاء
ويكون فرحكم خالدًا.
قال الله تعالى: أنا أحبّ العدل
وأُبغض الظلم والاحتيال.
سأجازيكم بأمانةٍ على كل ما قاسيتموه من معاناة
وأبرم معكم ميثاقًا يدوم إلى نهاية الحياة.
تشتهر ذريّتكم بين الأمم فيصبحون معروفين
وفي أرجاء الأرضِ يُكْرَمون.
فكلّ مَن رآهم يعترف اعترافا لا يحدّ مداه
أنّهم قوم باركهم الله.
إنّي أفرح بالله فرحا عظيما.
أجل، أبتهج به مِن كلّ كياني!
إذ بحلّة النجاة كساني
ومنحني لباس التقوى والوفاء،[٤]
مثل عريس يتزيّن بتاج البهاء
أو عروسٍ تتجمّل بحُليّها ذي سناء.

---

[٤] انظر سورة الأعراف: 26.

فكما أنّ الأرض تُنبت خيراتها الوفيرة
وتفيض الحقول في الربيع بزهورها الزهيرة
فاللهَ يفي بوعده ويمنح النجاة والإنتصار
فتحمد الأُمم جمعاء ربّها المنّان.